تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا : إنه لا يظلم أحدا من خلقه يوم القيامة مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة بل يوفيها له ويضاعفها له إن كانت حسنة كما قال تعالى : { ونضع الموازين القسط } الاية وقال تعالى مخبرا عن لقمان أنه قال : { يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها ا } الاية وقال تعالى : { يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره } وفي الصحيحين من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم في حديث الشفاعة الطويل وفيه [فيقول ا D ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه من النار] وفي لفظ : [أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا] ثم يقول أبو سعيد : اقرؤوا إن شئتم { إن ا لا يظلم مثقال ذرة } الاية وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عيسى بن يونس عن هارون بن عنترة عن عبد ا بن السائب عن زاذان قال : قال عبد ا بن مسعود : يؤتى بالعبد والأمة يوم القيامة فينادي مناد على رؤوس الأولين والاخرين : هذا فلان بن فلان من كان له حق فليأت إلى حقه فتفرح المرأة أن يكون لها الحق على أبيها أو أمها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ { فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون } فيغفر ا من حقه ما يشاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئا فينصب للناس فينادى : هذا فلان بن فلان من كان له حق فليأت إلى حقه فيقول : رب فنيت الدنيا من أين أوتيهم حقوقهم ؟ فيقول : خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر طلبته فإن كان وليا ففضل له مثقال ذرة ضاعفها ا له حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ علينا { إن ا لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها } قال : ادخل الجنة وإن كان عبدا شقيا قال الملك : رب فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول : خذوا من سيئاتهم فأضعفوها إلى سيئاته ثم صكوا له صكا إلى النار ورواه ابن جرير من وجه آخر عن زاذان به نحوه ولبعض هذا الأثر شاهد في الحديث الصحيح وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا فضيل يعني ابن مرزوق عن عطية العوفي حدثني عبد ا بن عمر قال : نزلت هذه الاية في الأعراب { من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها } قال رجل : فما للمهاجرين يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : ما هو أفضل من ذلك { إن ا لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما } وحدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد ا بن بكير حدثني عبد ا بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله : { وإن تك حسنة يضاعفها } فأما المشرك فيخفف عنه العذاب يوم القيامة ولا يخرج من النار أبدا وقد

استدل له بالحديث الصحيح أن العباس قال : يا رسول الله إن عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعته بشيء ؟ قال [نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار] وقد يكون هذا خاصا بأبي طالب من دون الكفار بدليل ما رواه أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا عمران حدثنا قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال [إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الاخرة وأما الكافر فيطعم بها في الدنيا فإذا كان يوم القيامة لم يكن له حسنة] وقال أبو هريرة وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك في قوله : { ويؤت من لدنه أجرا عظيما } : يعني الجنة نسأل الله رضاه والجنة وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا سليمان يعني ابن المغيرة عن علي بن زيد عن أبي عثمان قال : بلغني عن أبي هريرة أنه قال : بلغني أن الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة قال : فقضي أني انطلقت حاجا أو معتمرا فلقيته فقلت : بلغني عنك حديث أنك تقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول [يجزى العبد بالحسنة ألف ألف حسنة] فقلت : ويحكم ما أحد أكثر مني مجالسة لأبي هريرة وما سمعت هذا الحديث منه فتحملت أريد أن الحقه فوجدته قد انطلق حاجا فانطلقت إلى الحج في طلب هذا الحديث فلقيته فقلت : يا أبا هريرة : إن الله يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة قال : يا أبا عثمان وما تعجب من ذا والله يقول { من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة } ويقول { فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل } والذي نفسي بيده لقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلّم يقول [إن الله ليضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة] قال : وهذا حديث غريب وعلي بن زيد بن جدعان عنده مناكير ورواه أحمد أيضا فقال : حدثنا مبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي قال أتيت أبا هريرة فقلت له : بلغني أنك تقول : إن الحسنة تضاعف ألف ألف حسنة ! قال : وما أعجبك من ذلك ؟ فوالله لقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلّم يقول : [إن الله ليضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة] ورواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال : حدثنا أبو خلاد وسليمان بن خلاد المؤدب حدثنا محمد الرفاعي عن زياد بن الجصاص عن أبي عثمان النهدي قال : لم يكن أحد أكثر مجالسة مني لأبي هريرة فقدم قبلي حاجا وقدمت بعده فإذا أهل البصرة يأثرون عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم [إن الله يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة] فقلت : ويحكم ما كان أحد أكثر مجالسة مني لأبي هريرة وما سمعت منه هذا الحديث فهممت أن ألحقه فوجدته قد انطلق حاجا فانطلقت إلى الحج أن ألقاه في هذا الحديث ورواه ابن أبي حاتم من طريق أخرى فقال : حدثنا بشر بن مسلم حدثنا الربيع بن روح حدثنا محمد بن خالد الذهبي عن زياد الجصاص عن أبي عثمان قال : قلت : يا أبا هريرة سمعت إخواني بالبصرة يزعمون أنك تقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول [إن الله يجزي بالحسنة ألف ألف حسنة] فقال أبو هريرة : والله بل سمعت نبي الله صلى الله عليه

وسلّم يقول : [إن الله يجزي بالحسنة ألفي ألف حسنة] ثم تلا هذه الاية { فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل } وقوله تعالى : { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا } يقول تعالى مخبرا عن هول يوم القيامة وشدة أمره وشأنه فكيف يكون الأمر والحال يوم القيامة حين يجيء من كل أمة بشهيد يعني الأنبياء عليهم السلام كما قال تعالى : { وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء } الاية وقال تعالى : { ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم } الاية وقال البخاري : حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلّم [اقرأ علي] فقلت : يا رسول الله آقرأ عليك وعليك أنزل ؟ [قال نعم إني أحب أن أسمعه من غيري] فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الاية : { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا } فقال [حسبك الان] فإذا عيناه تذرفان ورواه هو ومسلم أيضا من حديث الأعمش به وقد روي من طرق متعددة عن ابن مسعود فهو مقطوع به عنه ورواه أحمد من طريق أبي حيان وأبي رزين عنه وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا الصلت بن مسعود الجحدري حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا يونس بن محمد بن فضالة الأنصاري عن أبيه قال : وكان أبي ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلّم : إن النبي صلى الله عليه وسلّم أتاهم في بني ظفر فجلس على الصخرة التي في بني ظفر اليوم ومعه ابن مسعود ومعاذ بن جبل وناس من أصحابه فأمر النبي صلى الله عليه وسلّم قارئا فقرأ حتى أتى على هذه الاية { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا } فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلّم حتى اضطرب لحياه وجنباه فقال : [يا رب هذا شهدت على من أنا بين ظهريه فكيف بمن لم أره] وقال ابن جرير : حدثني عبد الله بن محمد الزهري حدثنا سفيان عن المسعودي عن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه عن عبد الله هو ابن مسعود في هذه الاية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم [شهيد عليهم ما دمت فيهم فإذا توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم] وأما ما ذكره أبو عبد الله القرطبي في التذكرة حيث قال : باب ما جاء في شهادة النبي A على أمته قال : أخبرنا ابن المبارك أخبرنا رجل من الأنصار عن المنهال بن عمرو أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : ليس من يوم إلا تعرض فيه على النبي A أمته غدوة وعشية فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم يقول الله تعالى : { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا } فإنه أثر وفيه انقطاع فإن فيه رجلا مبهما لم يسم وهو من كلام سعيد بن المسيب لم يرفعه وقد قبله القرطبي فقال بعد إيراده : قد تقدم أن الأعمال تعرض على الله كل يوم اثنين وخميس وعلى الأنبياء والاباء والأمهات يوم الجمعة قال : ولا تعارض فإنه يحتمل أن يخص نبينا بما يعرض عليه كل يوم ويوم الجمعة مع الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقوله تعالى : { يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى

بهم الأرض ولا يكتمون ا حديثا } أي لو انشقت وبلعتهم مما يرون من أهوال الموقف وما يحل بهم من الخزي والفضيحة والتوبيخ كقوله : { يوم ينظر المرء ما قدمت يداه } الاية وقوله : { ولا يكتمون ا حديثا } إخبار عنهم بأنهم يعترفون بجميع ما فعلوه ولا يكتمون منه شيئا وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا حكام حدثنا عمرو عن مطرف عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال له : سمعت ا D يقول ـ يعني إخبارا عن المشركين يوم القيامة أنهم قالوا ـ { وا ربنا ما كنا مشركين } وقال في الاية الأخرى : { ولا يكتمون ا حديثا } فقال ابن عباس : أما قوله : { وا ربنا ما كنا مشركين } فإنهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا : تعالوا فلنجحد فقالوا { وا ربنا ما كنا مشركين } فختم ا على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم { ولا يكتمون ا حديثا } وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن رجل عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : أشياء تختلف علي في القرآن قال : ما هو ؟ أشك في القرآن ؟ قال : ليس هو بالشك ولكن اختلاف قال : فهات ما اختلف عليك من ذلك قال أسمع ا يقول { ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وا ربنا ما كنا مشركين } وقال { ولا يكتمون ا حديثا } فقد كتموا فقال ابن عباس : أما قوله : { ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وا ربنا ما كنا مشركين } فإنهم لما رأوا يوم القيامة أن ا لا يغفر إلا لأهل الإسلام ويغفر الذنوب ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره ولا يغفر شركا جحد المشركون فقالوا { وا ربنا ما كنا مشركين } رجاء أن يغفر لهم فختم ا على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك { يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون ا حديثا } وقال جويبر عن الضحاك : إن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال : يا ابن عباس قول ا تعالى : { يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون ا حديثا } وقوله : { وا ربنا ما كنا مشركين } فقال له ابن عباس : إني أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت : ألقى على ابن عباس متشابه القرآن فإذا رجعت إليهم فأخبرهم أن ا تعالى جامع الناس يوم القيامة في بقيع واحد فيقول المشركون : إن ا لا يقبل من أحد شيئا إلا ممن وحده فيقولون : تعالوا نجحد : فيسألهم فيقولون { وا ربنا ما كنا مشركين } قال : فيختم ا على أفواههم ويستنطق جوارحهم فتشهد عليهم جوارحهم أنهم كانوا مشركين فعند ذلك يتمنون لو أن الأرض سويت بهم { ولا يكتمون ا حديثا } رواه ابن جرير